بنو عامر يطلقون

إحدى الدّول الكبيرة بالبحرين



من نجد لتأسيس

بقلم: الدكتور علي أباحسين

فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، أو منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، قامت فى البحرين دولة الجبور .. البعض أطلق عليه عرب البحرين ، والآخرون اسموهم عربان الشرق ، وأطلق فريق ثالث على حكامهم لقب ملك او سلطان وطوال اكثر من قرن ونصف قرن ، وهى الفترة التى سادت فيها دولتهم وامتدت الى الاحساء والقطيف ونجد وأجزاء من عمان وبلاد هرمز ، لمعت بعض الاسماء .

مثل أجود ومحمد ومقرن ، ضرب أصحابها امثلة فذة فى الشجاعة والكرم وتشجيع الادباء والشعراء فى أحد العصور المزهرة التى مرت على البحرين . واذا كانت حركات المد والجزر واقعا جغرافيا تتابع على سواحل أرخبيل البحرين العريق فان المد والجزر التاريخى كان واقعا اخر رسم ملامح دولة الجبور لتنتهى معه حياة بعض ملوكها نهاية مأساوية .

ولكن قبل هذه النهاية كانت هناك بدايات .

رأينا كيف ان دولة العيونيين بدأت فى عام (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) وانتهت عام ٦٣٦هـ ١٢٣٨م). وقد حكم البحرين بعد دولة العيونيين دولتان استمرت كل منهما حوالى ١٥٠ عاما . الأولى هى امارة العصافرة او دولة بنى عصفور . والثانية هى امارة الجبور او دولة الجبور .

واذا كان تحديد الزمن بالتواريخ شيئا مفيدا فى الدراسات التاريخية ، فأننا نستطيع أن نقول على وجه التقريب ان دولة بنى عصفور قد بدأت بعد عام (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) وانتهت قبل عام (٧٨٥هـ)، والتواريخ المذكورة هنا هى اقرب التواريخ المؤكدة الى التاريخ الحقيقى واذا كان هناك فارق فلن يتجاوز السنوات الثلاث او الخمس . وذلك لأنها اخذت عن اشخاص عاصروا هذه الاحداث او عاشوا بقربها . وعلى الرغم من ندرة المراجع التى تتناول هذه الفترة الطويلة نسبيا من تاريخ البحرين - اذ تمتد الى خمسة قرون - فان الشاعر ابن المقرب العيونى يبرز كفارس الميدان بديوانه الممتاز الذى أرخ فيه لدولة العيونيين كواحد من ابرز افراد الأسرة الحاكمة ، وهو الديوان الذى يفيد الى درجة كبيرة فى القاء بعض الضوء على دولة بنى عصفور ودولة الجبور ايضا لتداخل التواجد الفعلى لبطون القبائل على أرض البحرين للعلاقات التى قامت بين هذه الأسر وبين العيونيين الذين ركز عليهم الشاعر اهتمامه بالدرجة الأولى وابن المقرب فى هذا الصدد يقدم فى ابياته زخما طيبا من المعلومات التى تصلح اساسا موثوقا به لبعض الظروف السياسية فى تلك الفترة .

وسوف نخصص هذه الدراسة لدولة الجبور مستعينين فيها ببعض المصادر التى كتبها معاصرون للحوادث شاهدوها او عاشوا فى فترة قريبة منها . وسوف نستعين بشكل رئيسى بالأبحاث القيمة لكل من الشيخ حمد الجاسر والدكتور عبداللطيف الحميدان بالأضافة لبعض الكتب والمخطوطات والوثائق العربية والبرتغالية .

والآن نتساءل من هم الجبور ؟

ان البحث التاريخى يؤكد ان العصافرة والجبور ينتسبون الى عقيل - وقد انتهى الشيخ حمد الجاسر الى انهم من بنى عامر بن عبدالقيس من ربيعه والذين عرفوا بأسم العمور ثم (العماير) اخيرا وانتسبوا الى (بنى خالد).

وبنو عقيل اسم يطلق احيانا على بطن من (بنى عامر) و(بنى المنتفك) و(بنى خفاجة) و(بنى عبادة) وقد اشارت الى هذا النسب بعض الاشعار النبطية التى قيلت فى مدحهم فيقول (الكليف فى قصيدته (الدامغة) التى نظمها فى مدح مقرن بن قضيب الجبرى احد ابرز حكام دولة الجبور :

صورة النص الموجود في كتاب احمد بن ماجد «الفوائد في اصول علم البحر والقواعد».. والتي اطلق فيها على اوال اسم الجزيرة الثامنة وقدم فيها وصفا للجزيرة الأم

٩٠٤هـ / ١٤٩٨م

ولم يكن فيها شيء مسند في عصرنا هذا وهي جزيرة تضربها الموج بغير ساحل وكبرها
بالعوالي من نصف المد ومن الذئب الجنوبيات الى بشطة ويراهن الساقطين
من بر السوباهان والساقط من بنجاله الى الذئب وهي بخط الاستوا بالسوا
لانها من حدود فافهم قد جمعنا الى واقد اربعا الجزيرة السابعة وهي زنجبار
ممتد على بر الزنج ذات اشجار وانهار وفيها اربعين خطبة تحكم عليها سلاطين
الاسلام وفي بحر الملك الموماني كفرة وهي جزيرة وجنبه وقال الاوائل
في بواد عنهم جزيرتان وخيبنان احدهما فتمي للجنوب وهي هذه الجزيرة
والاخرى بافتمي الشمال وهي البحرين المسماة باوال خصوصا عند من والشمس
ببرج الميزان يبتدي فيها الحر والسمك عند اصفرار الارياح والشرح وقال فيها الشاعر

• واذا تربع من اوائل قيضها • ودنا الشتا فبئس المنزل

الجزيرة الثامنة وهي البحرين المتقدم ذكرها وتسمى اوال وفيها ثلاثمائة وستون
قرية وفيها الماء الحالي من جملة جوانبها واعجب ما فيها مكان يقال له القصاصير
يغوص الانسان في البحر المالح بالقربة ويملاها من الماء الحالي وهو غرقان في الماء
المالح • وحواليها معادن اللولو وعدة جزر كلها معادن اللولو ويأتي عليها قريب
الف مركب وفيها جملة قبايل من العرب وجملة تجار وفيها جملة من النخيل التمر
اللواتي تضرب الاوصاف والخيل والابل والبقر والاغنام وفيها عيون جارية

يذكر ابن ماجد ان تاريخ تدوين كتابه (الفوائد) هو في ٨٩٣ هـ وختامه في ٨٩٥ هـ وتوجد ثلاث نسخ مخطوطه من كتابه (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد) : واحدة في باريس تحت رقم ٢٢٩٢ / المكتبة الوطنية ومخطوطه في المكتبة الظاهرية في دمشق ومخطوطه في البحرين وهي مصوره في مركز الوثائق التاريخية عن نسخة مصورة في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

واقف على اسلاف (قيس) خافه
فيها الوحوش رواغد همالها

والشاعر يقصد هنا (قيس عيلان).

يقول (عامر السمين) فى قضيب بن زامل :

صفوة (عقيل) هو ازكاها وافرسها
واخيارها همه فى كسب الانفالى

ويقول ابن مشرف التميمى الشاعر الاحسائى :

ولاتنس جمع الخالدى فانهم
قبائل شتى من عقيل بن عامر

وشرح هذه الابيات التى قالها شعراء عاصروا بعض حكام الجبور وتوجهوا باشعارهم لمدحهم . هذا الشرح يدلنا على انهم :

١ ـ من اسلاف قيس عيلان كما فى البيت الأول :

٢ ـ وان الممدوح من صفوة ابناء عقيل وان جمع الخالدى او بنى خالد ـ كما كان يطلق على الجبور ـ هم قبائل تنسب الى عقيل بن عامر كما فى البيتين الثانى والثالث .

لدينا اذن عقيل بن عامر وعامر بن صعصعة بن قيس عيلان وليس من الصعب بعد ذلك التوصل الى اصول الشجرة التى تمتد الى العدنانية .

وكان بنو عقيل الذين يسكنون وقتئذ البحرين يعملون فى التجارة حتى اصبح يطلق على جميع من امتهن التجارة فى الجزيرة العربية العقيليين وذلك فى القرن السابع وما بعده .

وقبيلة بنى عامر ببطونها وافخاذها اصل موطنهم نجد وكانوا كمعظم قبائل الجزيرة العربية عربا رحلا واذا كان من الصعب ان نحدد لكل قبيلة من قبائل الجزيرة العربية منزلا واحدا ثابتا الا اننا نستطيع ان نحدد لكل قبيلة منازل هى غالبا ما تمتد فى قطاع بذاته تتحرك فيه بطون القبيلة وافخاذها وراء الماء والكلأ ، ومن هذا المنطلق فأن بنى عامر وديارهم كانت تنتشر فى رقعة كبيرة تمتد من العراق الى الاحساء الى القطيف الى اوال . وبعد ان سكنت بعض بطونهم البحرين (اوال) اطلق عليهم (عرب البحرين وذلك للأتصال الذى كان يربط بين بطون هذه القبائل ايام كانت البحرين تمتد من كاظمة الى عمان الشمالى بالاضافة لمجموعة الجزر الواقعة فى الخليج العربى والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل واكبرها جزيرة (اوال) وهى اكبر جزر البحرين الحالية[1] .

والواضح من استقراء تاريخ الاحداث فى البحرين ان بنى عامر ، كانوا احد مراكز القوى المؤثرة فى هذه الاحداث بصورة او اخرى ، ففى بحث العيونيين الذى نشر فى العدد الأول من (الوثيقة) نجد ان القرامطة بعد ان

ضعفت دولتهم ، كانوا يدفعون بعض العوائد لشيوخ بنى عامر وان عبدالله بن على العيونى بعد ان تمت له السيطرة على اطراف البحرين الثلاثة ـ الاحساء والقطيف واوال ـ فى اواخر القرن الخامس الهجرى وبعد ان انشأ دولته على انقاض دولة القرامطة ، اوقف دفع هذه العوائد ، مما جعل شيوخ بنى عامر يحشدون ضده جموعا كثيرة من البادية اقبلوا بها على الاحساء وهم يسوقون امامهم ابلهم لتكتسح جموعه ولكنه كان يدرك هذه الحيلة البدوية فى القتال فأستعد لها بالطبول والضجيج مما جعل الأبل ترتد على جموع بنى عامر وانقلب ـ ميزان المعركة فانتصر الامير عبدالله بن على العيونى وتشتت جمع بنى عامر . ولم ينس بنو عامر للأمير عبدالله هذا الموقف ونشأ شكل من العداء ظل يتصاعد بين بنى عامر وخلفاء الامير عبدالله وبالذات ابنائه وأحفاده مما كان له تأثير كبير فى رسم الاحداث بعد ذلك .

ونجد ان هذا الحشد العامرى يعود للظهور مرة اخرى عندما تولى الامير العيونى (ابو سنان) حكم العيونيين خلفا لجده الامير عبدالله مؤسس الدولة . ففى سنة (٥٤٣هـ) بدأت الامور تسوء بين الامير ابى سنان وعميه ابى المنصور وابى على الحسن . فى هذه السنة ازمع غفيلة بن شبانة رئيس بنى عامر ان ينزل القطيف بقبيلته وقت الصيف فبعث اليه ابو سنان بأن يتوجه الى الاحساء لانها اكبر وتحتمل قبيلته ، ولكن غفيلة أصر على ان ينزل القطيف . فأنذره ابو سنان فلم يمتثل فهجم عليه (أبو سنان) بجيشه ودارت معركة انهزمت فى أولها جموع بنى عامر الا ان جنود ابى سنان انشغلوا بالنهب مما جعل بنى عامر ينعطفون عليهم ودارت الدائرة على جند ابى سنان الذى حوصر هو وقلة من اصحابه ليدافع عن نفسه دفاعا بطوليا ارهب بنى عامر فتركوه يرحل خوفا من بطشه وعاد بفلول جيشه دون ان يتبعه احد من بنى عامر الذين ارتحلوا الى الاحساء .

ويتضح من سير الحوادث بعد ذلك ان هذه المعركة لم تكن مجرد معركة بسبب رغبة بنى عامر فى نزول القطيف بحثا عن الماء والمرعى . وانما كانت نوعا من التحرش بأبى سنان ومقدمة للتدخل الفعلى لبنى عامر فى البحرين ـ اوال والقطيف والاحساء ـ مستغلين النزاع الذى شب بين ابى سنان وعميه ، يؤكد ذلك ان غفيلة انسحب بعد المعركة الى الاحساء حيث تتمركز قوات عمى ابى سنان ولم يبق فى القطيف كما كان يريد ويؤكده ايضا اتهام ابى سنان لعميه بتدبير هجمة بنى عامر مما دفعه بعد ذلك لمهاجمة عميه فى الاحساء حيث دارت معركة قتل فيها ابو سنان واخوه ابو شبيب(٢) .

وابتداء من هذه المعركة ، بدأ دور بنى عامر فى الظهور بوضوح ، وقد ساعدهم على ذلك ان المعركة لم تؤد لمقتل ابى سنان واخيه شبيب فقط وانما كانت بداية تفكك دولة العيونيين ، وبداية سلسلة من الحروب بين البيوت العيونية وهى بيت الفضل وبيت ابى منصور وبيت ابى على الحسن وهى الحروب التى اجهزت بعد سنوات قليلة على هذه الدولة .

ويحكى لنا الشاعر ابن المقرب امثلة على دور بنى عامر فى الخلاف بين هذه الاسر فى قصيدته التى مطلعها :

رماح الاعادى عن حماك قصار
وفى حدها عما تروم عثار

ففى سنة (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م) نشب الخلاف بين بنى عامر والامير محمد بن احمد بن ابى سنان بن الفضل ، ولما كان ابن المقرب من المتحمسين لبيت الفضل فقد وجه فى قصيدته التهديد والوعيد لبنى عامر وقد استغل اعداء الامير محمد من اقاربه هذا الخلاف وتآمروا مع بنى عامر على قتله واتفق غرير بن الحسن بن شكر بن الحسن وراشد بن عميرة بن غفيلة رئيس بنى عامر على اغتياله ، وتضمن الاتفاق ان يكون لراشد بن عميرة جميع ما كان للامير محمد من اموال وذخائر ويكون لغرير حكم البلاد وقد ترصد راشد بالفعل للامير محمد حتى واتته الفرصة عندما كان الامير محمد فى طريقه بين صفوى والاجام فى قلة من رجاله فهجم عليه غرير وراشد ورجالهما وقتلاه (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)[٣]. وتصاعد الصراع بعد ذلك بسرعة فقد استطاع الامير الفضل بن الامير محمد واخوته ان يخرجوا من القطيف بعد مقتل والدهم واتجه الفضل الى بغداد لمقابلة الخليفة الناصر لدين الله العباسى الذى كان على صلة طيبة بالامير محمد وطلب منه الفضل الدعم والمساعدة لاستعادة الحكم والاخذ بثأر والده ، فأمده الخليفة بالمال وبعض الجند ، ولكن يبدو من سياق الحوادث ان الخليفة أحاله الى حاكم قيس ليدعم قواته ويساعده لمواجهة خصوم الفضل من البيت العيونى الذين تؤيدهم جموع بنى عامر فلجأ الفضل الى جزيرة قيس حيث عقد اتفاقا مع أميرها (غياث الدين بن الامير تاج الدين جمشيد)[٤] وارتكب بذلك احد الاخطاء القاتلة فقد طلب امير قيس عقد اتفاقية يحصل بموجبها على جزء كبير من عوائد الدولة سواء من الجزر او المغاصات او المصائد او النخيل ، وهى العوائد التى كان يحول جزءا منها للخليفة وعقدت الاتفاقية بالفعل سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) وبقيت سرية وبمساعدة امارة قيس وبقوة متفوقة اكتسح الفضل بن محمد القطيف والبحرين ، واستولى على الحكم وظل فيه عشر سنوات يدفع جزءا

كبيرا من دخل البحرين لحكام قيس مما اضعف الامارة بدرجة كبيرة ، وبعد ان ذاعت نصوص الاتفاقية ثار عليه بنو عامر وحاربوه وأخرجوه من الحكم سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) وتولى بعده ابن عمه مقدم بن ماجد بن احمد بن محمد بن الفضل وكان صغير السن ويبدو ان نفوذ بنى عامر بدأ يزداد بصورة كبيرة فى البحرين ، فلم يعودوا يكتفون ـ كما فى السابق ـ بمساعدة احد امراء العيونيين ضد الاخر وانما ظهر اتجاههم للاستيلاء على الحكم لأنفسهم . يعكس ذلك ان شاعرا كابن المقرب العيونى عرف بتحمسه الشديد للعيونيين اخذ يتجه الى شيخ بنى عامر (ابوقناع) لدرجة انه طلب فى شعره من الامير العيونى فاضل بن ماجد ان يطيع (أبا قناع) وان يسترشد برأيه فيقول :

واشدد بها بأبى قناع انه
نعم المحامى دونها والحامى
واشكر له السعى الذى انقادت به
لك ولد سام كيف شئت وحام
وارض الذى يرضى وقدم امره
وأطعه طاعة مقتد لامام

والبيت الثانى يعطينا صورة واضحة عن النفوذ الذى وصل اليه شيوخ بنى عامر ، وكيف انهم كانوا يسيطرون على الكثير من القبائل .

بعد ذلك تدهورت دولة العيونيين بسرعة ، فقد مات مقدم فى سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) وازداد الانقسام بين ابناء البيوت العيونية واشتد الصراع على الحكم واصبح الاخ يقتل اخاه . ومع تصاعد الخلاف على الحكم بين امراء العيونيين ، زاد نفوذ بنى عامر وبدأ الامراء المتصارعون يقربونهم ويخطبون ودهم ، ويدفعون لهم الاموال والهدايا ليستميلوهم الى جانبهم ، حتى زادت ثروتهم ، فأصبحوا يركبون الخيول المطهمة ، ويلبسون الملابس الحريرية المزركشة ، ويملكون افضل البساتين بعيونها الجارية فى (اوال)، ويسيطرون على افضل المصائد واصبحوا بذلك يسيطرون على اقتصاديات البحرين ، وهى السيطرة التى مكنتهم ولدرجة بعيدة من احكام سيطرتهم السياسية بعد ذلك . ويترجم الشاعر ابن المقرب الذى توفى سنة (٦٢٩هـ) مدى ما وصل اليه النفوذ الاقتصادى لبنى عامر بقوله :

أخذوا الحسا من الكثيب الى محا
ريث العيون الى نقاحلوان
والخط من صفواء حازوها فما
أبقوا بها شبرا الى الظهران
والبحر فاستولوا على ما فيه من
صيد الى در الى مرجان
ومنازل العظماء منكم اصبحت
دورا لهم تكرى بلا اثمان
وأمض شىء للقلوب قطائع
بالمروزان لهم وكرزكان°

ولم يؤد تهاوى الحكم العيونى الى ان طمع فيهم بنو عامر فحسب وانما تطلعت اليهم ايضا عيون امراء قيس وسال لعابهم لثراء البحرين ، فهاجموها مرارا ، وسيطروا على بعض مغاصات اللؤلؤ وبساتين النخيل ، وبدأ بنو عامر تحركهم للاستيلاء على السلطة وما كاد محمد بن عبدالله بن سنان بن ابى جروان الاحسائى يتصل بهم حتى قاموا بالاتفاق معه وانضم اليهم فى ذلك بعض اعيان البحرين وسلموا السلطة فى الاحساء الى (عصفور بن راشد العقيلى العامرى) الذى نجح فى طرد آخر العيونيين من الاحساء واستولى على الحكم سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) وغادر الامير العيونى الاحساء الى البحرين حتى اذا كانت سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) انتهى حكم العيونيين فى البحرين ايضا وأصبح الحكم لبنى عقيل بن عامر ، وتأسست دولة العصفوريين .

وقد نقل ابن خلدون والقلقشندى عن ابن سعيد المغربى المؤرخ المتوفى سنة ٦٨٥هـ والذى عاصر هذه الاحداث قوله : سألت اهل البحرين فى احدى وخمسين وستمائة حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا :

الملك فيها لعصفور وبنيه ، اى لبنى عقيل بن عامر وبنو عصفور من بنى عقيل اما العيونيون فمن جملة رعاياهم .

وحكم العصفوريون مدة تقارب القرن ونصف القرن وزال حكمهم فى العقد الثامن والتاسع من القرن الثامن الهجرى ـ الرابع عشر الميلادى [٦] ثم خلفهم الجبور .

وقد شهدت دولة الجبور مجموعة من الحكام قامت على اكتافهم عملية تأسيس الدولة التى دامت قرنا ونصف القرن على وجه التقريب وشهدت البلاد فى عهد بعضهم تطورا ونماء ورخاء وتقدما فى اكثر من مجال وسوف نقوم فى الصفحات التالية باستعراض ما امكن استخلاصه من الوثائق المتاحة حول هؤلاء الحكام وقد يكون من المفيد قبل ان نبدأ فى استعراض تاريخ هؤلاء الحكام ان نبحث فى نقطة البداية .

ذكرنا فيما سبق واعتمادا على ما نقله ابن خلدون والقلقشندى عن ابن سعيد المغربى المؤرخ الذى عاصر هذه الأحداث انه سأل اهل البحرين عندما التقى بهم فى المدينة المنورة عمن يحكم البحرين فأكدوا له ان الحكم فيها لبنى عصفور وذلك فى سنة (٦٥١هـ) وورد فى تحفة المشتاق ورقة (٩و ١٠) ان زامل بن جبر العقيلى العامرى الذى ظهر فى نجد من الاحساء داهم الدواسر فى واديهم سنة (٨٥٢هـ) وبتحليل هذين الخبرين نخرج ببعض النتائج منها :

١ ـ ان دولة الجبور ظهرت فى الأحساء وانها تنسب الى جبر بن حسين (حصين) بن ناصر بن عقيل وبذلك

يعتبر جبر هو رأس هذه الاسرة أو هذه الدولة [٧] .

٢ ـ انه اذا كان زامل بن جبر وهو اول حاكم من الجبور نطالعه فى الوثائق قد داهم الدواسر فى واديهم سنة (٨٥٢هـ) فلا شك انه كان على رأس هذه الاسرة قبل هذا التاريخ واذا كان قد مات سنة (٨٦٦هـ) فمن المرجح ان تكون دولة العصافرة قد بدأت تلفظ انفاسها فى أواخر القرن الثامن الهجرى .

ونأتى الآن لحكام الجبور .

زامل بن جبر العقيلى :

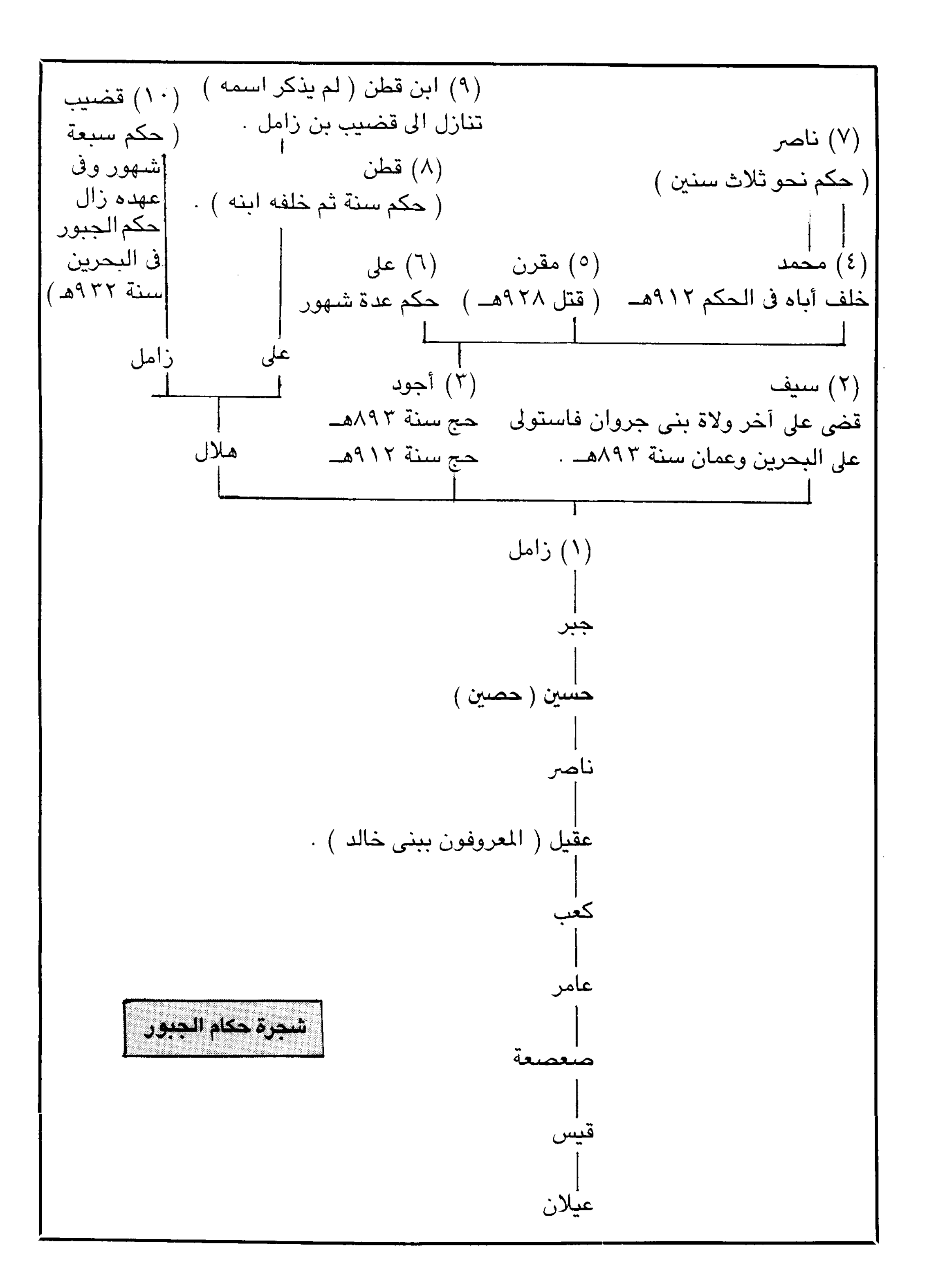
هو أول اسم يطالعنا فى هذه الدولة وقد ظهر فى نجد من الاحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وقصد الدواسر فى واديهم فى سنة (٨٥٢هـ) .

وكانوا قد اكثروا الغارات على بوادى الاحساء فأوغروا صدره فدهمهم فى منازلهم ثم صالحوه فرجع الى وطنه ، كما عاد فى سنة (٨٥٥هـ) فداهم الفضول وهزمهم وفى عام (٨٥٨هـ) و(٨٦٦هـ) غزا بلاد نجد وعاد بالغنائم ويرجح ان وفاته كانت بعد (٨٦٦هـ) بقليل[٨] .

سيف بن زامل :

هو سيف بن زامل بن جبر ولد فى سنة (٨٢١هـ) كما يقول السخاوى تلميذ ابن حجر وقد استطاع سيف بن زامل ان يقضى على آخر ولاة (بنى جروان) وذلك بقتله والاستيلاء على الحكم فى بلاد البحرين فحكمها بالعدل ودان له اهلها بالطاعة وشهدت البلاد فى عهده فترة من الازدهار والرخاء وسيف بن زامل هو الذى اخذ عمان بالسيف من سليمان بن نبهان فى سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) وولى عليها اماما من الاباضية يدفع محاصيلها وقد نصروه اهلها وقاموا بنصره فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الاباضى . وفى تحفة الاعيان للسالمى يذكر ان البيعة للامام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصى كانت فى سنة (٨٨٥هـ) فأقام سنة وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهانى فتواقعوا فى سمائل فانهزم الامام وعسكره وفى سنة ٨٨٧هـ انتصر الامام عمر بن الخطاب بن محمد على سليمان بن سليمان النبهانى وصادر جميع املاك بنى نبهان . ودون ان يذكر السالمى شيئا عن مساعدة اجود بن زامل الجبرى للامام . ومن نص ابن ماجد المعاصر للاحداث يتضح ان المساعدة قد حدثت فى سنة (٨٩٣هـ) وليست فى (٨٨٧هـ) وان اجود اعاد عمر بن الخطاب بن محمد الخروصى الى السلطة بعد ان قضى على سليمان بن سليمان النبهانى[٩] .

وهنا ملاحظة على تاريخ غزوه لعمان فقد ذكر ابن ماجد انه كان فى سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) ولكننا نجد نصا آخر فى تحفة المشتاق ورقة ٨ يقول ان


(١٠) قضيب
(حكم سبعة
شهور وفى
عهده زال
حكم الجبور
فى البحرين
سنة ٩٣٢هـ)
(٩) ابن قطن (لم يذكر اسمه)
تنازل الى قضيب بن زامل .
(٨) قطن
(حكم سنة ثم خلفه ابنه) .
(٧) ناصر
(حكم نحو ثلاث سنين)
(٦) على
حكم عدة شهور
(٥) مقرن
(قتل ٩٢٨هـ)
(٤) محمد
خلف أباه فى الحكم ٩١٢هـ
زامل
على
(٣) أجود
حج سنة ٨٩٣هـ
حج سنة ٩١٢هـ
(٢) سيف
قضى على آخر ولاة بنى جروان فاستولى
على البحرين وعمان سنة ٨٩٣هـ .
هلال
(١) زامل
جبر
حسين (حصين)
ناصر
عقيل (المعروفون ببنى خالد) .
كعب
عامر
صعصعة
قيس
عيلان
شجرة حكام الجبور

اجود بن زامل غزا نجدا فى (٨٨٧هـ) وانه حج فى (٨٨٣هـ) بما يفيد ان الحكم فى (٨٨٧هـ) كان لأجود الذى خلف اخاه سيف بن زامل بعد وفاته .

أجود بن زامل :

ان المتتبع لأخبار أجود يخرج بنتيجة هى انه يعتبر أعظم حكام الجبور فقد بلغت الدولة فى عهده شأوا بعيدا وامتد نفوذها ليشمل مناطق كبيرة وانهالت عليها الثروات من أكثر من مكان ليسود عهده الرخاء وينتشر فيه العلم فقد ولد أجود فى بادية الاحساء ٨٢١هـ ١٤١٨م ونشأ بها وتعلم وتثقف على يد علمائها ، فاهتم بالعلم والعلماء وقربهم وأكرمهم وكان له المام ببعض العلوم الفقهية خاصة مذهب الامام مالك . ويعد عصره من أزهى العصور فقد ساد العدل وانتشر العلم حتى قال عنه مؤرخ المدينة السمهودى المتوفى (٩١١هـ) والذى كانت له به صلة قوية (رئيس أهل نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف فريد الوصف والنعت صلاحا وأفضالا وحسن عقيدة أبو الجود أجود بن زامل بن جبر أيده الله وسدده) .

وقد اتسع ملكه حتى استولى على كثير من سواحل الخليج العربى وأخذ الجزية من بعض ملوك العجم المجاورين له .

وتثبت الرسالة الموجهة الى الشيخ أجود بن زامل بن ناصر بن جبر العامرى العقيلى من مرسلها الوزير عماد الدين محمود بن أحمد القاوانى الجيلانى الشهير بخواجة جهان والذى يعتبر أشهر رجال السلطنة البهمنية فى الهند التى امتد حكمها من ٨٤٨هـ/١٣٤٧م الى ٩٣٣هـ/١٥٢٧م وقد تولى أجود بن زامل الجبرى السلطة فى كل من القطيف والاحساء وبعض مناطق نجد قبيل عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م بقليل . وتثبت الرسالة ان سفينة تقل بعض التجار من رعايا أجود بن زامل . تعرض لها بعض القراصنة فلجأت الى بلاد البهمنيين فى الهند بعد أن فقدوا كل شىء . ولدى التحقيق فى هذه الرسالة بالاستناد الى مصادر برتغالية اتضح تعاون القراصنة مع البرتغاليين قرب سواحل الهند الغربية ضد المسلمين مما أدى الى قيام الوزير محمود القاوانى بتأديب القراصنة وان كان من الأرجح أن تكون حادثة القرصنة ضد رعايا أجود الجبرى قد حدثت قبيل قيام السلطان القاوانى بحملاته التأديبية ومن هنا نؤيد ماتوصل اليه الدكتور الحميدان من ان تاريخ الرسالة فى حدود عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م .

أما بداية حكم أجود بن زامل الجبرى فلا بد وأن تكون قبل هذا التاريخ . والملاحظ فى الرسالة ان القاوانى يكثر من الألقاب لأجود فيقول انه ملك ملوك العرب مالك البر واليم وغيرهما من الألقاب الرنانة وهذا يدل على مكانته كما يدل على

انه قطع فترة من الزمن يحكم البلاد وقد اتسع حكمه حتى أطلقت عليه هذه الصفات والنعوت لا في هذه الرسالة فحسب بل لدى معاصريه أمثال السمهودى مؤرخ المدينة المتوفى ٩١١هـ والسخاوى المتوفى ٩٠٢هـ اذ قال (كان أجود بن زامل رئيس نجد ذا اتباع بزيدون على الوصف مع فروسية وقد تعددت في بدنه جراحات كثيرة وقال انه يكثر الحج فقد ذكر العصامى المتوفى ١١١١هـ انه حج سنة ٩١٢هـ ومعه ثلاثون ألفا . وتشير الرسالة أيضا الى الصلات التجارية بين شرقى الجزيرة العربية والهند أيام دولة البهمنيين .

واشتهر بغزواته في نجد فقد غزا سنة ٨٨٧هـ وصبح الفضول وغنم منهم غنائم كثيرة (تحفة المشتاق ـ ورقة ٨) ، وحج في سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) ومعه خمسة عشر ألفا من قومه وغزا عام ٩٠٠هـ الدواسر والعوازم وزغب وهتيم على ثاج وعاد غانما (تحفة المشتاق ورقة ٩) وفي سنة (٩١٢هـ/١٥٠٥م) حج أجود في جمع عظيم يقال انهم زادوا على ثلاثين ألفا من البحرين . وضخامة العدد هنا تثير الشك وتوحى بالمبالغة وان كان البعض يرى ان الأمر ليس فيه شيء من المبالغة وذلك لأن الحجاج اعتادوا عندما يعلن الأمير عن عزمه على الحج أن يتجمعوا بهذه الأعداد فحج الأمير فرصة تشجعهم على أداء هذه الفريضة بصحبة أمير يرافقه الجند والأعوان حتى يتفادوا مخاطر الطريق وقد يضم الركب الكبير أحيانا حجاجا من جميع البلدان الاسلامية وصلوا للاحساء بطريق البحرين ثم رافقت قوافلهم ركب الأمير .

وذكر صاحب (السلاح والعدة) ان (**محمد بن أجود**) ذهب للحجاز لمساعدة أشراف مكة في عام ٩١٢هـ فأخضع البدو القاطنين قرب جدة وكانت عدة جيشه خمسين ألفا (١٠) ونخرج من هذا النص باحتمالين الأول أن أجود ربما مات في هذه السنة وتولى الحكم بعده محمد ، أو ان محمدا كان يشارك أباه الحكم . ولكننا مانكاد نخرج من هذه الحيرة حتى نجد نصا آخر لابن بسام يقول فيه ان أجود غزا في سنة ٩١٦هـ وصبح الدواسر على الخرج وعاد بغنائم كثيرة .. ويستطرد فيقول ان اجود غزا في ٩٢٩هـ من الاحساء فصبح الفضول على حفر الباطن وعاد غانما وربما كان ذلك من قبيل الاستطراد فلم يثبت ذلك .

بينما ثبت ان أجود مات قبل هذا التاريخ .

ومن المؤرخين من يجعل غزوة ٩٢٩هـ للسلطان مقرن وهذا أيضا خطأ فاحش فقد ثبت من المصادر البرتغالية والعربية ان السلطان مقرن قتل سنة ٩٢٨هـ وعلى أى الأحوال فان المحصلة هى ان أجود بن زامل كان أقوى حكام الجبور وان الدولة بلغت في عهده عصرا ذهبيا كما

اتسعت لتشمل الاحساء والقطيف وأوال ونجدا وجزءا من عمان . وبعد وفاة أجود خلفه ابنه محمد .

محمد بن أجود بن زامل :

خلف محمد أباه أجود الذى تنازل له عن الحكم بعد أن طعن فى السن ، وأطلق بعض المؤرخين على محمد بن أجود لقب سلطان البحرين وذلك سنة (٩١٢هـ/١٥٠٧م) وهى السنة التى ذكر العصامى فى تاريخ مكة ان أجود بن زامل حج فيها بثلاثين ألفا من أهل البحرين .

ومحمد بن أجود هو الذى أنجد شريف مكة عندما استنجد الشريف بركات بملك البحرين ليساعده على اخماد الفوضى والاضطرابات التى أثارها البدو فى جدة .

وكان حكم الاشراف قد ضعف بسبب خلافهم على امارة جدة ومكة مما شجع البدو على مهاجمة المدينتين حيث انتشر السلب والنهب والأشراف مشغولون فيما بينهم بفتنة كادت تقضى عليهم جميعا واختل الأمن وساد الرعب تلك الأنحاء .

وعندما وصلت الاستغاثة الى سلطان البحرين محمد بن أجود أسرع بعسكر عظيم قدر عدده بنحو خمسين ألفا للقضاء على الفوضى ولكنه عندما وصل الى جدة وجد ان مددا من مماليك مصر سبقه لاخماد الفتنة فدخل السلطان محمد بن أجود مع جيشه الى مكة وطافوا بالبيت معتمرين وتحللوا من الاحرام وعادوا الى البحرين بعد أن خلع سلطان البحرين على قائد المماليك خلعة مناسبة وعاد الأمن ليسود مكة وما حولها .

وقد خلفه فى حكم الجبور أخوه السلطان مقرن بن أجود بن زامل .

ولابد لنا قبل أن نتناول تاريخ السلطان مقرن أن نعرض فى عجالة للعلاقة بين الجبور وبين ملوك هرمز وهو الموضوع الذى عرضنا له بالتفصيل فى بحث الغزو البرتغالى الذى نشر بالعدد الأول من « الوثيقة » .

فنتيجة للحوادث التى مرت بامارة هرمز سنة (٨٢٠هـ/١٤٦٧م) والتى انعكست فى تمرد (سيف الدين مهار) على أبيه (تمهتن الثالث فيروز شاه) ملك هرمز وارغامه له على التنازل عن العرش .. نتيجة لذلك انتفض عرب البحرين فى نفس العام فانتزعوا الاحساء من (بنى جروان) ثم القطيف على أثر نزاع آخر شب بين الأخوين (سيف الدين) و(فخر الدين) وكان من نتيجة ذلك اتفاقية بين أجود بن زامل و(سلغور) تنازل فيها سلغور عن حقوقه فى البحرين والقطيف الا بعض البساتين فيها . وساعدت الظروف فى هذه الأثناء الجبور اذ كانت الاضطرابات تسود البلاد المجاورة مما عرقل التجارة فى الخليج العربى فاعتمد التجار على الجبور فى نقل تجارتهم وحمايتها وكل

ونفاق وتمر والترنج والليم وهي في غاية العمار وهي في تاريخ الكتاب لأجود بن
زامل بن حسين الساكري اعطاه لما هي والقطيف السلطان سرغل بن توران شاه
ان يقوم بهم على الحرب عند تملكه جزيرة جرون هرموز المتقدم ذكرها وكتب
بها عليها حجة واستثنا بعض بساتينها ففعل له ذلك وكان يحضر ملك جرون
واخذ البحرين والقطيف في عام ثمانين وثمانمايه وقد اخذ كان سيف بن زامل
عمان بن نبهان بالسيف على سليمان بن سليمان بن نبهان في عام ثلاث وتسعين
وثمانمايه وولي عليها امام من الاباضية بدفع له محاصيلها وقد نفروا اهلها
وقاموا بنصره فهدم جميع حصونها وامر عليهم من الخوارج الاباضية الجزيرة بلغ
التاسعة هي جزيرة البحرين وان تعرف بجزيرة برخت والقسم لان القسم محله
في راس الجزيرة من المشارق والشمال مما يلي الهرامز وهي منفتح ساحل لسان
هرامز وبرخت متوسطة في الجزيرة محل فيها النخيل والزروع والرغايب
وفيها حشايش جايك يجولون لكرابيه وراسها من المغارب المالكية تحكمها العرب
والعجم وفيها خلق وفيها مراكب وزروع وبلدانه جميع ذمرها وهي جزيرة
معتبرة منعطي لتابعات سواحل فارس فيها الفواكه والكروم والبطيخ والحنطة
من جميع الاجناس الجزيرة العاشرة وهي سقطرة وهي جزيرة عظيمة قريبة
الشعيرا أصغر من الجزاير المتقدم ذكرها طولها وعرضها قريب خمسين فرسخا بل
أدنى وفيها المال من كل مكان وهي على مشارف بر الشومال تسكنها امواج النصارى
وقبل بقية اليونان ذكرها عمر ابن ايوب بن شاهنشاه مصنف كتاب تقويم
البلدان وفيها خلق كثير قريب عشرين الف ادمي وقد ملكوها من قديم الزمان

نص احمد بن ماجد الذي يؤرخ فيه لاستيلاء
سيف بن زامل على عمان عام ٨٩٣ هـ

ذلك أدى الى ازدهار البحرين . (١١).

وفى هرمز كما قلنا شب النزاع عنيفا بعد وفاة (فخرالدين تورانشاه) بين أولاده الأربعة وهم مقصود وشهاب الدين وسلغور ونشأة أويس وأدى النزاع الى ان قتل كل منهم الآخر واستقر الأمر لسلغور الذى لجأ لطلب المساعدة من والد زوجته حاكم عمان فلم يستطع مساعدته فلجأ الى أجود بن زامل وتنازل له عن حقوقه فى جزر البحرين والقطيف الا من بعض بساتين البحرين وتكاتبا على ذلك وقاد أحد أبناء أجود واسمه زامل أيضا جيشا وسفنا وصحب سلغور الى هرمز وأعاده ملكا عليها .

وتعاظم نفوذ أجود واستقر الأمر لسلغور فتجاهل الاتفاقية ونسى مساعدة أجود له على استعادة عرشه وعاد يطالب بعوائد البحرين فرفض أجود ذلك وتمسك بالاتفاقية المعقودة بينهما . فجرد سلغور عدة حملات لمهاجمة البحرين ولكنها فشلت وانتهت هذه الحملات باتفاقية جديدة بين سلغور وأجود تنص على أن تصبح جزر البحرين تحت ادارة الجبور مقابل دفع اتاوة سنوية لمملكة هرمز من واردات البحرين ولكن الجبور لم يدفعوا الاتاوة وتصاعد الصراع بين البحرين وهرمز وأصبحت السلطة فى هرمز بيد (خواجة عطار) وتوفى السلطان أجود بن زامل كل هذه العوامل شجعت هرمز على مهاجمة البحرين عام (٩١٧هـ/١٥١١م) الا ان الجبور هاجموا هرمز من ناحية عمان الداخل التى كانوا قد احتلوها فانسحب خواجة عطار عن البحرين . وكان يقود جيوش البحرين فى هذه الأثناء السلطان مقرن بن أجود بن زامل الذى أصبح سلطانا على البحرين فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى والذى يحدثنا التاريخ انه لجأ الى العنف للوصول الى الحكم ولاخضاع القبائل التى تمردت عليه . وبعد أن استطاع مقرن أن يصد هجوم الهرمزيين بقيادة خواجة عطار عام (٩١٧هـ/١٥١١م) ذاع صيته فوصفه ابن اياس بأنه ملك من البحرين الى هرمز وانه أمير عربان بنى جبر الا ان البرتغاليين انتهزوا النزاع بين هرمز والبحرين وأخذت سفنهم تتجه للمنطقة وفى مناورة خبيثة اتفقوا مع هرمز على مساعدتهم فى مهاجمة البحرين ثم أخذوا فى غزوها لصالحهم .

مقرن بن أجود بن زامل :

لا نجد تاريخا محددا أصبح فيه السلطان مقرن سلطانا على البحرين وان كنا نستطيع القطع بأنه أصبح سلطانا فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى وقد يكون من المفيد هنا أن نعلم أن نظام الادارة فى دولة الجبور كان يجعل السلطان يشرك ابناءه معه فى الحكم ربما بسبب امتداد رقعة الدولة فالمعروف أن

السلطان زامل اشرك معه ابناءه الثلاثة وهم سيف وأجود وربما هلال ، وتقول الوثائق البرتغالية ان السلطان اجود بعد ان اصبح سلطانا بوفاة والده زامل اشرك بدوره ولديه فى الحكم وهما محمد ومقرن .

ويحدثنا التاريخ ان (مقرن) لجأ الى العنف للوصول الى الحكم ولأخضاع القبائل التى تمردت عليه (كبنى خالد) و(بنى لام) و(يزيد) و(مزيد) كما ورد فى قول الشاعر جعيثن اليزيدى(١٢) وهو يمدح الامير (مقرن فيقول :

ولاقيت بعد السير ياناق مقرن
وقابلت وجها فيه للحمد شاهد
نشأ بين (سيف) والغريرى [13] (زامل)
فيالك من عم كريم وماجد
وبين (أجود) سلطان (قيس [14] وركنها)

عن الضيم او فى المعضلات الشدائد
حما بالقنا (هجرا) الى ضاحى اللوى[15]
الى (العارض) المنقاد نابى الفرائد
(ونجد) رعى ربعى زاهى فلاتها
على الرغم من سادات (لام)[16] وخالد
وسادات (حجر) من (يزيد) و (مزيد)
قد اقتادهم قود الغلا بالقلايد(١٧)

وربما حدثت غزوات الامير مقرن فى نجد حوالى ٩١٦ هـ / ١٥١٠ ـ ١٥١١ م وبعد أن أستتب له الأمر استطاع ان يرد الاعتداء الذى قام به عم ملك هرمز (خواجة عطار) على البحرين وذلك فى السنة التالية أي في سنة ٩١٧ هـ

ومن هنا أشار ابن اياس فى بدائع الزهور الى مقرن بانه (امير عرب بنى جبر متملك جزيرة البحرين الى بلاد هرمز الأعلى) واستطرد ابن اياس قائلا وهو يصف مقرن (كان اميرا جليل القدر معظما مبجلا فى سعة من المال مالكى المذهب سيد عربان الشرق على الاطلاق) . وذكر فى حوادث سنة ٩٢٨هـ ان مقرن كان قد اتى الى مكة وحج فى العام الماضى وكان يجلب الى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والعود القمارى والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة ، وقيل انه لما دخل الى مكة والمدينة تصدق بنحو خمسين الف دينار فلما حج ورجع الى بلاده البحرين لاقته الفرنج فى الطريق وتحاربت معه فأنكسر الامير مقرن وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم ان يشترى نفسه منهم بألف ألف دينار فأبوا الفرنج ذلك وقتلوه بين ايديهم ولم يغن عنه ماله شيئا وملكوا قلعة البحرين التى هناك واستولوا على اموال الامير مقرن وبلاده وكان ذلك من اشد الحوادث فى تاريخ الاسلام واعظمها . وقد تزايد شر الفرنج على شواطىء البحر الأحمر وسواحل المحيط الهندى والأمر لله تعالى .

ويلاحظ فى نص ابن اياس بعض الأخطاء والمبالغات ، فأن المصادر البرتغالية نفسها تدلل على ان مقرن جرح

فى معركة ضارية . ولو صحت رواية ابن اياس لكان اجدى ان يدفع لهم المال قبل القتال مقابل انسحابهم لأن السبب لهذه الحرب هو رفض (مقرن) ملك البحرين دفع عائد بعض البساتين الى (توران شاه) ملك هرمز الذى اقامه البرتغاليون عليها بعد ان سيطروا على هرمز . لذلك فأن اسطورة ابن اياس ليس لها دليل تاريخى ولا منطقى كما أن احدا من المؤرخين لم يذكرها سواء من المعاصرين او غيرهم .

اما دور (مقرن) فى حربه مع البرتغاليين فأن (توران شاه) ملك هرمز قد جعل من رفض مقرن لدفع عائد البساتين المتفق عليها لهرمز ذريعة لفرض السيطرة على البحرين والقطيف كما ان توران شاه الذى عينه البرتغاليون على هرمز علل عجزه عن دفع الضرائب للبرتغاليين بأن مقرن يتعرض للسفن التى تبحر بين هرمز والبصرة ، هذا بالأضافة الى ما تتمتع به البحرين من ثروة زراعية ومياه عذبة ومغاصات اللؤلؤ القريبة منها ، كل هذه الاسباب وغيرها أدت الى قيام البرتغاليين بغزو البحرين فبدأوا بنهب سفنها ثم اعقبوا ذلك بهجوم على البحرين بقيادة (خواجة عطار) وهو عم ملك هرمز وكان ذلك سنة ٩١٧هـ/١٥١١م الا ان الجبور قاوموه فأضطر الى الأنسحاب الى هرمز .

ولم تمض الا سنوات قليلة حتى قاد (بيرو) وهو ابن عم(افونسو دى البوكيرك) اسطولا يتكون من اربع سفن تمهيدا لغزو البحرين الا انه عاد فاشلا .

وهنا برز دور (مقرن) فى الهجوم الرئيسى الذى قاده (انطونيو كوريا) فى ١٥ يونيو ١٥٢١م وكانت قواته مكونة من ثلاثة آلاف مقاتل من مرتزفة الفرس والعرب تقلهم مائتا سفينة جاءوا من هرمز ويقودهم (رئيس شرف الدين) بينما يقود (انطونيو كوريا) البرتغالى قوة تتكون من اربعمائة برتغالى تحملهم سبع سفن بمدافعها الثقيلة .

اما (مقرن) فيقود اثنى عشر الفا من العرب واربعمائة من الرماة وثلثمائة فارس عربى وعشرين جنديا تركيا يحملون البنادق ويقومون بتدريب الجند على استخدامها . وقد امر (مقرن) قواته ان تصطف بمحاذاة سور القلعة (أى قلعة البحرين) بينما بقى (انطونيو كوريا) ينتظر المدد ستة ايام ثم حاول النزول الى البر ولكنه عاد بعد ان جن الليل وفشلت محاولته ، وعاد البرتغاليون يخوضون البحر لكى يصلوا الى سفنهم عندما اصبح البحر جزرا .

ثم نزلوا الى البر ثانية وفى معركة حاسمة كان يحمل فيها انطونيو كوريا علما ويطوف بين صفوف جنده يشجعهم على الصمود لحرب المسلمين واقتحام سور القلعة ، وهنا جرح (مقرن) فى ساقه كما جرح القائد البرتغالى (كوريا)

فى ذراعه وتوفى مقرن متأثرا بجراحه بعد بضعة ايام . مما رفع معنويات الجند البرتغالى الذى ارهقه التعب خاصة وان المعركة حدثت فى الصيف وكانت المعركة شديدة بين الطرفين استخدم البرتغاليون فيها المدافع لضرب اسوار القلعة ، وعلى اثر وفاة الأمير والقائد مقرن تولى قيادة الجند (حميد) وهو ابن اخت مقرن حيث امر حميد قواته بالأنسحاب الى القطيف ومعهم جثمان مقرن ليدفن فى الاحساء ، وفى رواية ان قائد قوات هرمز (رئيس شرف الدين) قبض على السفينة المقلة لجثمان (مقرن) وامر بقطع رأسه وحمله معه الى هرمز وقيل ان (انطونيو كوريا) هو الذى قبض على السفينة المقلة لجثمان مقرن وانه هو الذى احتز رأسه .

لقد شهدت البحرين فى حربها مع البرتغاليين معركة او معارك ضارية وكان (مقرن) بطل هذه المعارك وكان من اسباب هزيمة جنده الدور الذى قامت به المدفعية البرتغالية والتى اخذت تدك اسوار القلعة التى تحصن وراءها مقرن وجنده ففقد جانبا مهما من جوانب دفاعه ، وخير دليل على ذلك ماورد مدونا على حجر من جبل فى جزيرة (جده) فى سنة ٩٦٨هـ حفر عليه انه قطع ماية ألف صخرة لتجديد بروج قلعة البحرين ايام الوزير الاعظم جلال الدين بن مراد شاه . فكم كان التدمير جسيما فى القلعة بحيث احتاج اصلاحه لمثل هذا العدد الكبير من الحجارة .

كما أن الأحداث التاريخية التى شهدتها البحرين فى سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠مـ والتى اتفق فيها البرتغاليون مع ملك هرمز على غزو البحرين واعدادهم اسطولا كبيرا وقوة فى عدد الجند والعدد خاصة المدفعية . ثم استغلالهم فرصة غياب الأمير (مقرن) عن البحرين لأداء فريضة الحج كل هذه العوامل وغيرها ساعدت على سقوط النسر الجبرى (مقرن) فى المعركة متأثرا بجراحه التى قضت عليه .

ولقد شهد البرتغاليون ببطولات الأمير مقرن ملك البحرين واقترن اسم البحرين او كما يسميها البرتغاليون (بحاريم) أو (بهاريم) باسم القائد البرتغالى (انطونيو كوريا) الذى انتصر على (مقرن) أو (مكرم) كما وجدنا ذلك فى الوثائق البرتغالية وتحت صورته التى حفظتها كتبهم ومخطوطاتهم . وقد نقشت المعركة على مسلة من الحجر ورسم رأس مقرن على درع وشعار القائد البرتغالى انطونيو كوريا وحيكت حول (مقرن) فى الكتب البرتغالية قصص البطولات وجعله البرتغاليون من القديسين والأبطال الخياليين . ودخلت البحرين تحت النفوذ البرتغالى فى ٢٧ يوليو ١٥٢١مـ .

وبعد وفاة مقرن انسحبت قواته الى

القطيف بقيادة ابن أخته (حميد) . وهنا يظهر لأول مرة هذا الأسم في الوثائق البرتغالية ولعله هو جد (آل حميد) من بني خالد حكام الاحساء والقطيف وما حولها والذين اشار اليهم الشاعر مؤرخا حكمهم فقال :

رأيت البدو (آل حميد) لما
تولوا أحدثوا فى الخط ظلما
اتى تاريخهم لما تولوا
كفانا الله شرهم (طغى الما)

وآل حميد نسبة الى جدهم حميد الذى ظهر اسمه يقود جيش مقرن وهو ابن أخت مقرن الجبرى من بنى خالد أيضا فكأن دولة (آل حميد) أو (آل غرير) أو (آل عريعر) أو (بنى خالد) ينتسبون الى حميد الذى اوردته الوثائق البرتغالية كقائد فى سنة ٩٢٨هـ /١٥٢١م وذلك حين قاوم البرتغاليين حتى عاد مقرن مسرعا من الحجاز ليدوخ البرتغاليين حتى اذا ما مات خلفه ابن أخته (حميد) .

أما الفترة ما بين ٩٢٨هـ الى ١٠٨٢هـ وهى فى حساب جملة (طغى الماء) فانها فترة استمرت فيها دولة الجبور وهم من بنى خالد وان سميت بآل حميد أو (آل عريعر) فى الاحساء والقطيف وأوال أو من (القرين) الى شمالى عمان . وان البحث المتواصل عن الوثائق التاريخية فى مختلف اللغات المعاصرة وبين طيات المخطوطات العربية والأجنبية وكتب الرحالة العرب والأجانب سيكشف ولا شك الكثير عن تاريخ هذه الدولة التى سقطت سنة ١٢٠٧ هـ وارخت بكلمة (وغار) .

أما (انطونيو كوريا) فهو ينتسب الى طبقة النبلاء البرتغاليين وقد رافق والده الذى كان مديرا فى (كالى كت) بالهند . ولما قتل والده مع جماعة من البرتغاليين على يد البربر هناك ، وكان لانطونيو من العمر اثنتى عشرة سنه فر الى بلاده ، الا انه لم يلبث أن عاد الى الهند وتنقل فى المناصب ما بين الهند وملقا وجزر الهند الشرقية واجبر ملك (بنتاو) على رفع الحصار عن ملقا . ثم رافق والى هرمز الى الخليج العربى لغزو البحرين التى كانت تدفع عائدات بعض البساتين لوالى هرمز وقد توقفت عن دفعها أثر سقوط هرمز بيد البرتغاليين ، فأتجه (انطونيو كوريا) الى البحرين وبعد معارك ضارية قتل ملك البحرين (مكرم) أو (مقرن) وبعث برأسه الى الحاكم البرتغالى وحل انطونيو كوريا محل (ديو غو فرنانديس) بعد وفاة الأخير واطلق على أنطونيو لقب بحاريم .

وبعد موت السلطان مقرن تولى (**علي بن أجود**) حكم الاحساء ونواحيها وهي المناطق التى انحسر اليها حكم الجبور مدة اشهر ثم خلفه ابن أخيه (ناصر بن محمد بن أجود) فملك نحو ثلاث سنين على ما يروى صاحب الدرر ثم

باعها على قطن بن على بن هلال بن زامل وحكم نحو سنة ثم مات ليخلفه ابنه الذي تنازل عن الحكم (لقضيب بن زامل بن هلال) وحكم نحو سبعة أشهر وفى عهده زال حكم الجبور من الأحساء فى منتصف سنة (٩٣٢هـ / ١٥٢٥م) حين اندلعت الحرب بينه وبين (راشد بن مغامس) أنتصر راشد واستولى على البلاد وزالت دولة الجبور [١٨] . ويقال أن مقرن بن قضيب هو الذى سلم لقوات الأتراك العثمانيين سنة (٩٥٧هـ) وانتهى حكم الجبور حيث أمروا على الاحساء محمد باشا الملقب بفروخ فى سنة ٩٥٧هـ ثم على بن أحمد بن لاوند البريكى ١٠٥١هـ ثم استعاد بنو خالد سلطانهم على الاحساء على يد آل عريعر .

ويرى بعض المؤرخين أن زوال دولة الجبور تأخر الى سنة (٩٩٩هـ / ١٥٩٠م) ويرى البعض الآخر أن زوال الدولة كان فى سنة (٩٢٦هـ / ١٥١٩م) والرأى الأخير هو الأقرب الى الصحة [١٩] .

وبعد هزيمة السلطان ومقتله وانسحاب الجبور الى الاحساء بدأت دولة الجبور تلفظ أنفاسها الأخيرة وقد تولى الحكم بعد مقرن خمسة من حكام الجبور كانوا مجرد اسماء حتى سقطت الدولة على يد« آل مغامس » الذين حكموا الاحساء بعد الجبور نحو ٢٠ عاما ثم سلموها للعثمانيين وجدير بالذكر أن امراء الجبور كانوا يحملون لقب الغريرى والخالدى والصبيحى [٢٠] .



الهوامش

١ ـ جزيرة البحرين الأم وصفها الرحالة المعاصر لهذه الفترة وهو الربان (احمد بن ماجد النجدى) والذى كان حيا سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) فى كتابة (الفوائد فى اصول علم البحر والقواعد ص ٦٩) بقوله :

الجزيرة الثامنة وهى البحرين وتسمى (اوال) وفيها ثلاثمائة وستون قرية وفيها الماء الحالى من جملة جوانبها واعجب ما فيها مكان يقال له (القصاصير) يغوص الانسان فى البحر المالح بالقربة ويملؤها من الماء الحالى وهو غرقان فى الماء المالح وما حواليها معادن اللؤلؤ وعدة جزر كلها معادن اللؤلؤ يأوى عليها قريب الف مركب وفيها جملة قبائل من العرب وجملة تجار وفيها جملة من النخيل المثمرات اللواتى تضرب بها الاوصاف والخيل والابل والبقر والاغنام وفيها عيون جارية ورمان وتين واترنج وليم وهى فى غاية العمارة وهى فى تاريخ الكتاب (لأجود بن زامل بن حصين العامرى) اعطاه لها هى والقطيف السلطان سرغل بن نور شاه ان يقوم بنصره على اخوته ويملكه جزيرة (هرمز) هرموز المتقدم ذكرها وكتب بها عليها حجج واستثنى بعض بساتينها ففعل له ذلك وقام بنصره وملكه جرون . واخذ البحرين والقطيف فى عام ثمانين وثمانمائة .

٢ ـ الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة والدكتور على اباحسين ـ العيونيون ـ الوثيقة ـ البحرين ـ العدد الاول

٣ ـ نفس المصدر السابق .

٤ ـ نفس المصدر السابق .

٥ ـ الكثيب والعيون والمحاديث وحلوان مواضع فى الاحساء والمروزان وكرزكان قريتان فى جزيرة اوال .

٦ ـ الحميدان ، الدكتور عبد اللطيف ناصر ـ امارة العصفورين ـ مجلة كلية الاداب ـ البصرة ـ ص١٢٣ ـ ع١٥/ ١٩٧٩م .

٧ ـ انظر شجرة حكام الجبور المنشورة مع البحث .

٨ ـ تحفة المشتاق فى اخبار نجد والحجاز والعراق لأبن بسام ـ مخطوط لدى الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك .

٩ ـ ابن ماجد(الفوائد فى اصول علم البحر والقواعد) والسالمى . تحفة الاعيان ١ /٣٧١ ـ ٠٣٧٦ والحميدان ـ التاريخ السياسى لامارة الجبور ، الجبور ، ص ٥٥ .

١٠ ـ ابن فرح ـ السلاح والعدة فى تاريخ جدة عن النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة التيمورية ـ القاهرة . حمد الجاسر ، العرب ، ج ٩و ١٠ ، س ١٣ مارس١٩٧٩م . والجزء السابع السنة الاولى ، محرم ١٣٨٧هـ ، الصفحات ٦٠١ ـ ٦١٠ .

١١ ـ الحميدان ص٣١ ـ ٣٧ بايجاز . وللدكتور الحميدان بحث بعنوان (مكانة السلطان اجود بن زامل الجبرى فى الجزيرة العربية) مجلة الدارة ، ص٦٠ ـ ٦٤ ، العدد ٤ ، سنة ١٩٨٢ م . ويذكر أن البروفيسور جان اوبان هو الذي أشار الى هذه الرسالة ضمن مخطوطة (كنز المعانى) فقام الدكتور الحميدان بتحقيقها فى بحثه المذكور .

١٢ ـ القصيدة للشاعر جعيثن اليزيدى الحنفى من اهل (الجزعة) قرب الرياض .

١٣ ـ الغريرى نسبة الى غرير من عقيل وهى اسرة اجود .

١٤ ـ قيس عيلان وهى القبيلة الام .

١٥ ـ ضاحى اللوى : طرف الرمل ـ رمل بيرين المتصل بالدهناء جنوب الأحساء . والعارض : عارض اليمامة جبل طويق . نابى : مرتفع الفرائد جمع فريدة وهى الجبل .

١٦ ـ لام : القبيلة المعروفة من طي ولها شهرة كبيرة فى القرن السابع وما بعده الى القرن العاشر . خالد : قبيلة معروفة من بنى عامر بن صعصعة بن قيس عيلان وكان لها حكم الاحساء ونواحيها فى القرون ١٠ ، ١١ ، ١٢ وقد طغى اسم خالد على بنى عامر فشمل اكثر افخاذهم .

١٧ ـ حجر : المدينة المشهورة التى قامت الرياض على انقاضها . يزيد ومزيد : عشيرتان من بنى حنيفة كانتا تحكمان فى حجر فى القرن الثامن وما بعده الى القرن العاشر .

١٨ ـ انظر بحثنا فى (الوثيقة) العدد الاول ، ص ١٢٦ ـ ١٣٨ .

وقد هدينا الى وثائق عثمانية مؤرخة في سنة ٩٦٧ و ٩٨٣ و ٩٨٦ هـ وقد ورد فيها ذكر (آل حميد) .

١٩ ـ ورد فى خيار ما يلتقط من الشعر النبط لعبد الله بن خالد الحاتم فى قصيدة مقرن بن قضيب القصيدة مع شرحها راجع الديوان فى مكتبة مركز الوثائق التاريخية بالبحرين .

٢٠ ـ العرب ، العدد ٩و ١٠ ربيع اول وثانى ١٣٩٩ه والعدد ٧ السنة الاولى ص ٦٠١ ـ ٦١٠ .

٢١ ـ ومن المصادر الاخرى : درر الفرائد المنظمة للجزيرى المتوفى٩٧٧ هـ والدرر الكامنة لأبن حجر (ت٨٥٢) طبع حيدر اباد ج ١ ص ٧٣ ترجمة رقم ١٩٦ ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكى والضوء اللامع للسخاوى (ت :٩٠٢ هـ وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس (ت : ٩٣٠ هـ) ووفاء الوفاء للسمهودى (ت : ٩١١ هـ) وشذرات الذهب فى اخبار من ذهب لأبن العماد (ت : ١٠٨٩هـ) . وفيه ترجمة صالح بن سيف بن زامل فى حوادث سنة (٩٣٠هـ) وسمط النجوم العوالى للعصامي (المتوفى ١١١١هـ) والفوائد فى اصول علم البحر والقواعد لأحمد بن ماجد النجدى المتوفى فى مطلع القرن العاشر الهجرى .